لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون كان ذلك عام كذا من التاريخ الميلادي او الهجري مثلاً فيضعون العام موضع السنة وهو لا يصلح لذلك دائماً . والفرق بينهما ان العام اربعة فصول السنة وبعبارةٍ اخرى هو من احد فصول السنة الى مثلهِ من القابل والسنة من يومٍ معلوم من العام الى مثلهِ من القابل فهي تبدأ من ايّ يومٍ اتفق والعام لا يكون الا فصولاً كاملة . قال في المصباح قال ابن الجواليقي ولا تفرق عوامّ الناس بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى فيقولون لمن سافر في وقت من السنة ايّ وقت كان الى مثلهِ عام وهو غلط والصواب ما أُخبرت بهِ عن احمد بن يحيى انهُ قال السنة من ايّ يومٍ عددتهُ الى مثلهِ والعام لا يكون الا شتآءً وصيفاً . وفي التهذيب ايضاً العام حولٌ يأتي على شتوةٍ وصيفةٍ وعلى هذا فالعام اخصّ من السنة فكل عامٍ سنة وليس كل سنةٍ عاماً

ويقولون قُبِض على اللصّ بمعرفة الشُرَط يعنون ان الشُرَط هم الذين قبضوا عليهِ لا أن القبض تمّ باطّلاعهم والقابضُ سواهم فيأتون بهذا التركيب الغريب وهو من لغة الدواوين

ويقولون في جمع الحارة حواري وهذا كجمعهم القهوة على قهاوي وقد تقدم ذكر ذلك قريباً وهو من كلام العامة ايضاً والصواب في جمعها حارات لانهُ لم يُسمَع لهذا اللفظ جمعٌ مكسَّر

ويقولون ما بالك بكذا وما بالك اذا كان الامر كذا اي ما ظنّك او

ما قولك مثلاً وانما البال في مثل هذا التركيب بمعنى الشأن والحال تقول ما بالك واقفاً وما بالك لا تتكلم اي ما الشأن الذي لاجلهِ تفعل كذا او لأي حال انت كذا

ويقولون فعل كذا في بادئ الامر اي في اولهِ وبدئهِ ولا معنى للبادئ هنا لانهُ اسم فاعل والمقام يقتضي المصدر او الظرف

ويقولون ادمن على شرب الخمر فيعدّون هذا الفعل بعلى وهو متعدٍ بنفسهِ يقال ادمن الشرب وادمن العمل ولا يقال ادمن عليهِ

ويقولون تعهّد لهُ بكذا اي عاهدَهُ عليهِ وواثقهُ ولا يجيء تعهّد بهذا المعنى انما يقال تعهّد الشيء اذا تفقدهُ وعاودَهُ مرةً بعد مرة

ويقولون حرّر الرسالة وحرّر الجريدة اي كتبها وانشأها والذي في كتب اللغة ان التحرير بمعنى اقامة حروف الكتابة واصلاح سقطها واستعمالهُ بمعنى الانشآء عاميّ

ويقولون تُبودلت كؤوس المسرّات بين الحضور وبعضهم وهو تعبير فاسد لان حاصل المعنى ان جميع الحضور بادلوا البعض كؤوس المسرّات. على ان البعض هم من جملة الحضور فيكونون قد بادلوا انفسهم ايضاً. والصواب اسقاط «وبعضهم» لان التبادل لا يكون الا مُشترَكاً وحصولهُ بين الحضور يفيد ان بعضهم قد بادل بعضاً

ويقولون هذا الامر قد عُرِف من فلان يعنون ان فلاناً عرف الامر فيبنون الفعل للمجهول ثم يذكرون الفاعل المحذوف ويجرّونهُ بمن وهو من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية. واقل ما في هذا التعبير انهُ

كثيراً ما يؤدي الى الالتباس وذلك كما في العبارة المذكورة فانها تحتمل ان يكون المعنى ان هذا الامر قد عرفهُ الناس من فلان بل هو المعنى الصحيح الذي يُفهَم من هذا التركيب . ومثلهُ قولك أُخذ هذا الشيء من زيد وسُرِق من خالد واغتُصب من بكر وطُلب من عمرو وقس على ذلك كثيراً من الصور . هذا فضلاً عما في هذا التركيب من العبث لان الفعل انما يُبنى للمجهول ويُسنَد الى غير فاعلهِ اما للجهل بالفاعل او لقصد اغفال ذكرهِ فاذا صُرّح بذكر الفاعل بعد ذلك تدافع طرفا الكلام وجاء آخره ناقضاً لما بُني عليهِ اوّله

ويقولون اذنب فلان ضدّي وتعصب ضدّ فلان وحميت فلاناً ضدّ غريمهِ وكل ذلك من التعريب الحرفي ايضاً والصواب اذنب اليَّ وتعصّب على فلان وحميتهُ من غريمهِ

ويقولون استقلّ السفينة واستقلّ القطار اي ركبهُ واستوى عليهِ وهو استعمالٌ غريب لانهُ يقال استقلّ الشيء اذا رفعهُ وحملهُ فهو على عكس المعنى الذي يريدونهُ كما ترى

ويقولون استطرد العمل واستطرد الحديث اي تابعهُ ومضى فيهِ وليست اللفظة في شيءٍ من هذا المعنى والذي في كتب اللغة يقال استطرد الفارس للفارس اذا اراهُ انهُ منهزمٌ امامهُ فاذا تبعهُ وانفرد عن الصف عطف عليهِ فطعنهُ . واشتهر في كلام المولدين استطرد لذكر كذا وهو ان يذكرهُ في غير موضعهِ فيمهد لهُ وجهاً لذكرهِ وهو مجازٌ عن الاول كما لا يخفى ولم يرد الاستطراد في غير ذلك

ويقولون مدرسةٌ علياء فيأتون بهذا اللفظ ممدوداً وهو غلط لان افعل التفضيل يؤنث على فُعلَى بالقصر مع ضم الفاء[١] واما العلياء بالمدّ فمعناها المكان المُشرِف وهي اسمٌ بمنزلة البيداء والصحراء وما جرى مجراها وهي بفتح الفاء

ويقولون هذا من المصالح الدائمية يعنون الدائمة فيزيدون عليهِ ياء النسبة لغير معنى وهو غريب (ستأتي البقية)

ما وراء زمن التأريخ

من البديهي ان زمن التأريخ لم يبدأ الا بعد استنباط الكتابة والشروع في تدوين الحوادث ويختلف عهده في كل بلاد تبعاً لحالة الحضارة فيها وزمن دخول الكتابة بين اهلها فهو في اوربا لا يتعدى ١٥٠٠ سنة قبل التاريخ الميلادي وفي مصر ينتهي الى ٤٠٠٠ سنة قبل التاريخ المذكور. واما قبل ذلك فلم يكن لشيءٍ من الامم تاريخٌ مدوَّن وانما كانت اخبار السلف تُتناقل بالرواية والسماع وربما أُفرغ حديث الوقائع الكبرى منها في قالب النظم تسهيلاً لحفظهِ واستظهارهِ كما فعل اوميروس وغيرهُ من شعراء الدهر القديم. بيد ان تلك المنظومات التقاليدية قد اعتورها ولا ريب كثيرٌ

---

(١) اما استعمال هذه اللفظة مؤنثة مع التنكير على خلاف المنصوص عليهِ في قواعد هذا الباب فالذي حققهُ غير واحد ان ذلك انما يمتنع عند قصد المفاضلة اي عند اقتران لفظ التفضيل بمن ولو مقدَّرةً كما اذا قيل زيد طويل وهند اطول اي اطول منهُ فلا يقال وهند طولى . فاذا قصد بهِ مجرد الوصف بالزيادة جرى كغيرهِ من الصفات فيقال امرأة فضلى ورجال افاضل وهلم جرًّا

من التبديل والزيادة في اثناء تداوُل الرواة لها عصراً بعد عصر بحيث انها لم تبلغنا الا بعد ان تنكرت فيها صور الوقائع ودخلها كثيرٌ من الخرافات والقصص الموضوعة ولذلك كان غالب ما فيها لا يصلح لتقرير الحقائق التاريخية اللهمَّ الا فيما يختص بالعادات والشرائع وما جرى مجراها مما كان لآخر عهد اولئك الرواة

وفضلاً عن ذلك فان تلك التقاليد لم يرد فيها الا الشيء النزر مما يتعلق بخاصة بعض الامم وذكر شيء من مشهور وقائعها ولم يكن ما رُوي فيها الا من الحوادث المتأخرة التي حدثت بعد ان تجيلت الاجيال وتحيزت الامم واصبح للانسان شؤونٌ اجتماعية وبعبارةٍ اخرى بعد ان خرج الانسان من حال الهمجية المحضة وصار على شيءٍ من الحضارة . وبقي وراء ذلك من النوازل الكونية والحوادث العمرانية وتطوُّرات الانسان في الصناعة والسكنى والمعاش وسائر احوال المدنية مما استغرق مئاتٍ كثيرة من القرون ما سُدِل دونهُ حجاب الغيب وطُوي بين تضاعيف الايام

ولا ريب ان الوصول الى معرفة ما كان في تلك العصور النائية مما لا سبيل اليهِ غير ان المباحث الجيولوجية قد أدّت الى كشف كثيرٍ من الخفايا المحتجبة وراء ظلمات القِدَم وابدت لنا من آثار الاولين ما دلّ على ما كانوا عليهِ في الجملة بل دلّ على كثيرٍ من مفصَّل احوالهم ووقائعهم وما مرَّ بهم من الحوادث وتنقلوا فيهِ من الاطوار . وذلك ان اصحاب هذا العلم يقسمون تأريخ الارض الى اربعة ادهر يتقدمها دهرٌ خامس يُعرَف بالدهر الفلكي وهو الزمن الذي تمَّ فيه تكوُّن الارض وانتهى بظهور بعض الانواع

الدنيئة من الكائنات العُضوية كالطحالب والخَشاش وهي ما لا دماغ لهُ من الحيوان . والدهر الاول بعدهُ هو الذي رسبت فيهِ التربة الاولى المتجمعة عن احتكاك الصخور وفعل السيول والامطار وفيهِ ظهرت الحيوانات القشرية والهُلامية ثم الاسماك والحشرات الاولى التي انقرضت في الازمنة التالية . وظهرت في الدهر الثاني الاشجار الدائمة الخضرة وبعض انواع الحشرات . وفي الثالث الاشجار التي تتجدد خضرتها كل سنة وذوات الاثدي من الحيوان . وفي الرابع ظهر الانسان والحيوانات الداجنة والنباتات البستانية وينتهي هذا الدهر بانتهاء الانقلابات العامة وثبوت البرّ والبحر على ما هما عليهِ الى هذا اليوم . ويقدّرون مدّة هذه الادهر الاربعة بنحو ٢٤٠ الف سنة ولهم في كل واحدٍ منها تفاصيل طويلة ليست من غرضنا في هذا الموضع

واول من شرع في البحث عن آثار الانسان في الطبقات الجيولوجية رجلٌ من علماء الفرنسيس من اهل القرن الغابر يقال لهُ بُوشاي فانهُ عثر على قِطَع من الصوّان المنحوت في تربة الدهر الرابع ثم عثر على فكّ انسان وبقايا اخر من هياكل بشرية من الدهر المذكور وبعضها من الدهر الثالث استدلَّ منها على شيء من احوال الانسان في العصور الخالية ومذ ذاك تنبه العلماء للبحث عن هذه البقايا فنشأ عن ذلك علمٌ قائمٌ بنفسهِ يُعرَف بعلم ما وراء التاريخ

وهذا العلم لا يُستنَد فيهِ الى شيء من الروايات التقليدية ولكن مرجعهُ الى ما يسمَّى بعلم الرُفات (الپاليونتولوجيا) ومدارهُ على الدفائن التي

توجد في طبقات الارض من رُفات العظام البشرية وما يوجد معها من الآلات والمواعين مما يُستدلّ بهِ على اوائل امر الانسان وتدرُّجهِ في اطوار الحضارة في كل عصرٍ من تلك العصور المتطاولة . وقد تبيَّن من فحص تلك المخلَّفات انهُ في اول عهدهِ لم يكن يعرف من الادوات والاسلحة الاالظرار وهي شظايا من حجر الصوّان كان يكسر بعضهُ ببعض او يوقد عليهِ حتى يتشقق و ينفصل بعضهُ من بعض ثم يختار منهُ ما كان ذا اطرافٍ حادّة يستعملهُ في ذبح الحيوان ويدافع بهِ عن نفسهِ . ثم توصل بعد ازمان الى نحت تلك الظرار وتسوية وجوهها ولعلهُ كان يحكّ بعضها ببعض حتى يزول ما فيها من الأَمْت والخشونة وهو اول عهدهِ بالصناعة . ولبث على ذلك زماناً آخر ثم انتقل فجأةً من استخدام الصوّان الى استخدام حجر الجاد وهو نوعٌ من الصخر شبيهٌ بالصُلَّبيّ اي حجر المسنّ زيتيّ اللون او رماديهُ شحميّ البنآء كان يتخذ منهُ ادواتٍ مختلفة كالفؤوس والمُدَى ونصال السهام والمزاريق فارتقى درجةً اخرى في الصناعة . وكان في هذا العصر كلهِ وهو اطول العصور التي مرّت بهِ لا اداة لهُ الا تلك الحجارة ولذلك يُعرَف بالعصر الحجري

ويأتي بعد ذلك عصران آخران احدهما عصر الحديد والآخر عصر الشبَه او الشبَّان وهو معدنٌ شديد الصلابة يُتَّخذ من مزيج من النحاس والقصدير . ولا يتعين السابق من هذين العصرين لانهُ في بعض البلاد تُرَى الأدَوات الحديدية سابقة لأَدَوات الشبَه وفي بعضها بالعكس فالظاهر ان هذين المعدنين كانا متعاصرين لكن في جهاتٍ مختلفة

من الارض ثم عمَّ استعمالها . وذلك انهُ في اوربا عامةً وُجد زمن الشبه سابقاً لزمن الحديد وفي سيبيريا وُجد في مكان الشبه النحاس وبعكس ذلك في افريقيا فان الحديد وُجد تالياً للحجر ولم يدخلها الشبه الا بعد انتشار الحضارة ورد عليها من آسيا

ثم انهُ في اواخر الدهر الرابع نشأت صناعة الخزف وكانوا اولاً يصنعون منهُ اواني يجففونها في الشمس ثم توصلوا الى طبخها بالنار . وقد وُجد شيءٌ كثير من تلك الاواني في بلاد الدنمرك ووُجد بعد ذلك آنية من الصدف وادوات من قصب الحيوان وقد شُقّ طولاً لاخراج المخّ من جوفهِ

اما مساكنهم فقد اتى على الانسان دهرٌ طويل لم يكن لهُ مأوًى الا الكهوف ولم يتوصل الى بناء الاكواخ الا في عهدٍ متأخر . وكان كثيراً ما يرفع تلك الاكواخ على اعمدةٍ يركزها في وسط بحيرة او مجرى نهرٍ كبير فتكون مكتنفةً بالماء من جميع جهاتها . والاظهر انهُ كان يقصد من بنائها كذلك الاعتصام فيها من الضواري المفترسة وقد كانت ولا بدّ في ذلك الزمن اكثر مما هي لعهدنا هذا وربما قصد بها التحصن من الانسان نفسهِ . ولعلّ هذا هو السبب في بناء المدن المائية العجيبة التي اكتُشفت سنة ١٨٥٣ في بحيرة زوريخ من بلاد سويسرا وذلك انهُ في شتاء تلك السنة انحطّت مياه البحيرة كثيراً وكانوا يودّون اصلاح طوارها (١) اي الطريق الممتدّ على شواطئها فاخذوا في حفر جوانبها

(١) مأخوذ من طوار الدار بالفتح وهو ما كان ممتدًّا معها من الفناء اي الساحة التي امامها . تعريب quai

فوجدوا الاعمدة التي كانت قائمة عليها تلك الابنية وبتتبّعها وجدوا انها تجمع عدة مدن كانت قائمةً فوق المآء تؤوي الواحدة منها ما بين ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ نفس وحول كلّ منها صفٌّ من الاعمدة يقدَّر ان الغرض منهُ منع سفن العدوّ من الافضآء الى داخل المدينة . وقد وجدوا بين تلك الاعمدة كثيراً من بقايا الادوات المسكنية من حطام آنية خزفية وعظام حيوانات وغيرها. وعثروا بعد ذلك على آثار كثيرٍ من تلك المدن المآئية على على طول شواطئ بحيرات سويسرا وكان بعضها لا يشتمل الا على ادواتٍ من حجر وبعضها يشتمل على ادوات من الحديد او من الشَبَه ووُجد في بعضها ادوات من عظام الرنّة وهي من حيوانات الشمال قد نُقش عليها امثلة حيوانات او نباتات محكمة الحفر مما يدل على ان الصناعة في ذلك العصر كانت قد بلغت شيئاً من الكمال

هذا محصَّل ما ذكروا من الكلام على آثار الانسان قبل عهد التاريخ مما عثروا عليهِ في نواحي اوربا وسيبيريا وافريقيا وبقي الكلام على مثل ذلك في بقية آسيا وأستراليا واميركا ولم نجد في ذلك ما فيهِ غنآء . لكن تقدم في الكلام على العصر الحجري انهم وجدوا في جملة تلك المخلَّفات ادواتٍ من حجر الجاد وهذا الحجر ليس من صخر اوربا وانما هو من حجارة جنوبي آسيا وقد استُدِلّ من وجودهِ في اواخر مدة العصر الحجري بعد ان لم يكن قبلهُ في كل ذلك العصر الطويل الا الصوّان فضلاً عن ان صنعتهُ تخالف صنعة الادوات الصوّانيّة على انهُ لا بدَّ هناك من حدوث طارئٍ عظيم طرأ فجأةً على البلاد الاوربية فاحدث فيها ذلك الانقلاب .

وقد تبين من الاطلاع على اللغة السنسكريتية والزندية ان بينهما وبين اكثر لغات اوربا تناسباً في كثير من الاوضاع والاحكام مما يشير الى ان لجميعها اصلاً واحداً هو اللغة الآريَّة. فاستُدلّ من ذلك كلهِ على ان اقواماً من الآريين هاجروا في ذلك الحين الى الغرب وانتشروا فيهِ وكانوا عدّة قبائل قيل كانت مساكنهم بارض لموريا وهي برٌّ واسع بجنوبي الهند طغى عليهِ البحر على اثر انخسافٍ حدث في تلك الناحية فنجا من نجا منهم ولحق بالبلاد الاوربية وذلك في اواخر الدهر الرابع. ثم امتزجوا باهل اوربا فانتقلت ملامحهم وهيأتهم الى السلائل التي امتزجوا بها كما يتبين ذلك في الامم الجرمانية والصقلبية وغيرها وكانوا ارقى مدنية منها فاقتبست من صناعتهم ولا يزال اثر ذلك فيها الى هذا اليوم والله اعلم

حديقة السوسن

لحضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي

(تابع لما قبل)

— ١ —

من انت ايها الرجل النشوان بخمرة غرورك . ومَن هي المرأة التي تتبعك اتباع الظلّ وتمتزج بك امتزاج المآء بالراح في معايشك ومصيرك . أليس ان اسم « الانسانية » يشملكما معاً ويربط احدكما بالآخر رباطاً لا انفكاك لهُ بلا امتيازٍ بينكما ولا تفريق

أليس ان وحدة النوع جعلتكما كياناً واحداً ذا شطرين متحدين روحاً ومعنًى وصورةً وان كنتما منفصلين وجوداً وجسماً ووظيفة

أرأيت في عمرك أرومةً في روضةٍ ذات جذعين يختلفان في الإثمار فيكون جنى احدهما حلواً وجنى الآخر مرًّا . كلاَّ ان الشجرة الواحدة وان كانت ذات جذعٍ او جذوع لا يمكن ان تكون طبعاً الاَّ ذات ثمارٍ متشاكلة ومزية واحدة تتجانس فروعها وجذوعها وتتماثل ازهارها واوراقها

فما بالك إذن ايها الرجل تنسب الى المرأة وقد نبتَّ واياها من أرومةٍ واحدة اخلاقاً احطَّ من اخلاقك او طبائع اخسَّ من طبائعك ومدارك ادنى من مداركك . تقرّر لنفسك عليها مزية التفوُّق والافضلية في الخُلق فتحسبها كذوباً وانت الصادق . محتالةً وانت المستقيم . ماكرةً روّاغةً حمقآء وانت السويُّ العاقل الحكيم . ترميها بالخيانة وتستأثر بالوفاء . وتريدها ذليلةً ممتهنةً وانت العزيز الممنَّع . قضيتَ بان تكون محكومةً وانت الحاكم . واسيرةً وانت المطلَق . وخادمةً وانت المخدوم

عجبي بك ايها الظالم لنفسك اكثر مما لها كيف تطمع ان تكون جنَّتك وانت لها نار . ونعيمك وانت لها شقآء . ومُحِبَّتك وانت لها مبغض . تستمدّ من بنانها الراحة وانت لها تعب

افرأيت شريكاً تضمر لهُ غدراً فيفي . وتظهر لهُ العداوة فيسالم . تقابلهُ بالعبوسة والمقت فيبشُّ . تريد بهِ السوء فيُخلِص . تحاول اهتضامهُ فيسرُّ . وتسومهُ الذلة فيجلُّك ويرفع قدرك . لا لعمر الله فانهُ ولا جدال يكايلك صاعاً بصاع . وهيهات ان تحصد الاَّ مما زرعت

كن اذن على يقين انك لم تظلم المرأة بل ذاتك ظلمت اذ توهمت ان استعلاءَك عليها واذلالك لها وسلبك حقها سيعود عليك بالفوز والهنآء

والغنم . مع انهُ كان ولا يزال مجلبةً للغمّ ومدعاةً للبؤس والهمّ . أفتستريح وشطرك المتمم كيانك مُتعَب . او تلتذُّ وأليفك الملازم لك مُوجَع . وهل يمكن ان تسعد ورفيقك شقيّ او تعتزُّ وجارك ذليل

لما رأى ارسطو(١) مرشد ذي القرنين عتوَّ تلميذهِ الاسكندر وشدة الجبروت والغطرسة اللذين يعامل بهما الامم استبداداً في الحكم ونزوعاً الى الاطلاق في السيادة قال لهُ ناصحاً « لا ينفعك ان تؤسس عرشك

(١) هو الفيلسوف اليوناني الشهير اكبر حكماء التاريخ ولد في ستاجيرا بمكدونية سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ في مدينة خلكيس . تتلمذ في آثينا لافلاطون في السنة السابعة عشرة ولبث يتخرج عليهِ زهاء العشرين عاماً فعُدَّ رأس الفلاسفة المعروفين بالمشآئين . وسمي المعلم الاول لانهُ اول من وضع التعاليم المنطقية وقرر قواعدها ومنزلتهُ منها منزلة واضع النحو ابي الاسود او واضع العروض الخليل بن احمد . فلما مات افلاطون برح اثينا واقام في جزيرة لسبوس فورد عليهِ سنة ٣٤٣ رقيمٌ من فيلبس المكدوني يطلب اليهِ ان يكون أستاذاً لابنهِ الاسكندر ومما قال في ذاك الرقيم « اني لم اهنأ بولادة ابني بمقدار هنائي لولادتهِ في ايامك » فاجابهُ ارسطو الى طلبهِ وعلّم الاسكندر وثقفهُ ما امكن التثقيف لرجل كالاسكندر جبار عنيد . فكان ذا منزلةٍ سامية في بلاطهِ و بلاط ابيهِ وكانا لا يبرمان امراً خطيراً من امور الملك دون استشارتهِ والاخذ برأيهِ . وبهذا ومثلهِ كانت تسود الملوك . ولقد قلت

لا تزعمنْ ان المراتب خصصت　　بذوي القرائح والفؤاد النيرِ
لو كان قدر العلم يعطي منصباً　　لغدا ارسطو سيد الاسكندرِ

ومن حكم ارسطو البالغة قولهُ « كن عبداً للحق فان عبد الحق حرّ » و « انما فضّل الناس على البهائم بالنطق فأحقهم باسم الانسانية أبلغهم منطقاً »

على الرؤوس بل على القلوب » يعني ان خضوع الرعية لهُ انما يكون بامتلاك قلوبها والتحبب اليها لا بقهرها واستذلالها فان الملوك لا يثبت سلطانهم بين محكوميهم بالقسوة والعنف بل بالاستيلآء على عواطفهم ومعاملتهم بالرعاية واللطف

وهذا القول عينهُ يصدق على المرأة بالنسبة الى الرجل لانهُ اذا كان اسكندر الكبير مع قوة سلطانهِ وبسطة يدهِ وسعة اقتدارهِ لا يستطيع ان يسود رعاياهُ دون ان يعدل فيها ويرفق بها وينتصف من نفسهِ لها فكيف يتأتى لك ايها الرجل ان تكون سعيداً في عيشك منعماً في بيتك هنيئاً بين سربك مع كونك تبني سيادتك على رأس المرأة لا على قلبها

كن قوقاسياً آسوياً . او زنجياً افريقياً . او هندياً اميركياً . بل كن ما شئت عربياً او تركياً . بوذياً او برهمياً . مسيحياً او مجوسياً . ديّناً تقياً . او معطّلاً طبيعياً . فلا محيص لك عن السلوك في رهطك وبين اسرتك وفقاً لهذه القاعدة العامّة وهي « المرأة والرجل سوآء . والرابطة بينهما العدل والوفآء » فالعاقل الأَصيل الرأي من اذا رأى العبرة اعتبر واذا زُجرَ بحكمةٍ وصواب ارعوى عن الجور وازدجر

ان الأمة الفرنسوية لما ثارت في اواخر القرن الثامن عشر فألقت عن عاتقها نير تحكّم الملوك وحلّت من عنقها ربقة استبداد السادات ومحت من صفحات قوانينها امتيازات الرؤسآء شارية بدمآء الآبآء حرية الابنآء وضعت نظاماً سمّتهُ « حقوق الانسان » وجعلت هذا النظام قاعدةً لحكومتها الجمهورية المؤسسة على مساواة حقوق الافراد

فالمادَّة الاولى من هذا النظام مؤداها « ان الانسان حرٌّ في تصرفهِ مستقلٌّ باعمالهِ مطلقٌ في افكارهِ وتصوُّراتهِ واعتقاداتهِ لا جناح عليهِ ولا تثريب الا فيما يُلحِق ضرراً بغيرهِ من افراد نوعهِ او يأتي بحديثٍ يشوش الامن العام »

فهذه المادَّة التي تحسَب زبدة الحقوق البشرية والتي لاجلها أُريق دم عشرات بل مئات الوف من بَني الانسان وعلى دعامتها القويمة تأسس نظام جميع الامم المتمدنة في هذا العصر وستتمشى في أجسام سائر المجتمعات القومية من قطبٍ الى قطب لم تضع فارقاً في الحرية الممنوحة بموجبها بين الرجل والمرأة ولم تخصص الرجل بالذكر عند بيان هذه الحقوق بل في قولها « الانسان » تركتها شائعة عامة تتناول كل فردٍ من افراد الجنسين الرجال والنساء بلا تمييز ولا تفريق . اما في الوظائف والواجبات فبين الجنسين تفاوتٌ بعيد وبونٌ شاسع لا مريةَ فيهِ ولا خلاف . من ذلك ان النساء مُعفَيات من الجندية وحراسة الوطن والتكسُّب بمشاقّ الاعمال وبواعث الابتذال لا لانحطاطهنَّ عن الرجال رتبةً بل لان هذه الاحوال لا تتناسب مع قواهنَّ الطبيعية وواجباتهنَّ الانثوية ولأنها تخلُّ بنظام المنزل الذي هنَّ الحاكمات فيهِ ووظائف الحمْل والولادة والتربية . وهذه امورٌ تستلزم الراحة والتفرُّغ والتخلي عن الصنائع والمِهَن وما وراءها مما خُصَّ بالرجال تحصيلاً للمجد والمال

والحاذق الصادق الحدس يدرك بالبداهة ماهية الفرق بين المنزلة والحقوق و بين الواجبات والوظائف . كما ان العاقل الخبير يشعر بادنى تأمُّل

ان حقوق المرأة التي سنَّتها الحكمة منذ الازل ولكنها لبثت مَدُوسة تحت اقدام الجهل واستبداد الرجل حتى دفعها جيل الفرنسيس في أُخريات الدهور من الحضيض واقعدها على العرش قد انتشر سلطانها انتشار البرق في اطراف العالم الغربيّ وتسرَّبت احكامها في قليل من الزمان الى اكثر الممالك والشعوب الاوربية والاميركيَّة . ولما اصبحت عند اولئك الاقوام واجبة الرعاية جديرة بالاتباع مزَّقت عن بصائرهم حُجُب العماية والجهل وعرجت بهم الى فلك الهداية والمعرفة ناقلةً إياهم من مهاوي الاستعباد والفقر والشقآء الى معارج الحرية والغنى والسعادة في فراديس الدعة والامن والهنآء

وهذا برهانٌ واضح على وجوب مساواة المرأة بالمنزلة والحقوق والتجافي عن اعتبارها مخلوقةً لتُحبَس في السراديب وتحجَب في القصور ورآء الستور مقصورةً حياتها على الاهتمام بارضآء الرجل والقيام بخدمتهِ . وما ذلك الا لكونها بحسب زعمهم ادنى من الرجل رتبةً واقرب الى الشرّ . وهذا عين ما يعتقدهُ السواد الاعظم من الشرقيين في آسيا وافريقيا حتى اليوم اولئك الذين مع انتشار هذه الحقيقة الساطعة وظهور نتيجتها النافعة في اوربا واميركا لا يزالون يكابرون فيها جهلاً وعناداً

جملة الامر ان الرجل الذي يسعى بان يسلب المرأة شيئاً من حقوقها فانما يسلب ذلك الحق من نفسهِ لان الانسان الكامل طبيعةً بالنظر الى النظام المعاشي والعمرانيّ انما هو مركبٌ من ذكرٍ وانثى معاً ولا عبرة بالانفصال المحسوس عند الخوض في هذا البحث . فالرجل والمرأة يؤلفان

في عالَم الوجود الأُلفيّ كياناً واحداً لا كيانين . فاذا لم يكن الكيان بجملتهِ متناسب القوى متساوياً في الاعتدال وصحة المزاج معنى ومادَّةً مرتبطاً كل عضو منهُ بوظيفة التعاون مع الآخر قلباً وقالباً متواطئاً مجموعهُ على سلامة اجزآئهِ وحفظهِ وجلب المنافع لهُ ودرء المضارّ عنهُ لا يمكن ان يدوم صحيح الحيويَّة غير معرَّضٍ للآفات والعاهات ولا سالمٍ من الاعتلال والاختلال او على الاقل يلبث دون غيرهِ نمآءً وارتقآءً في سلَّم الحياة . وما دام كذلك فهو طبعاً غير هنيء العيش ولا سعيد

فماذا فعل الرجل اذن بما سلب من شطرهِ أَلم تعاقبهُ نواميس الكون العادلة على ما ابداهُ من الحيف بان صيَّرت كيانهُ المزدوج غير صحيح ولا سليم واقفاً عند اول درجةٍ من مرقاة المدنية ينظر الى من باعلاها وهو مسلوب القرار معدوم الهنآء والنعيم

تلك لعمرك نتيجة عدم التعادل في كل كيانٍ موجود « وكلُّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب »　ستأتي البقية

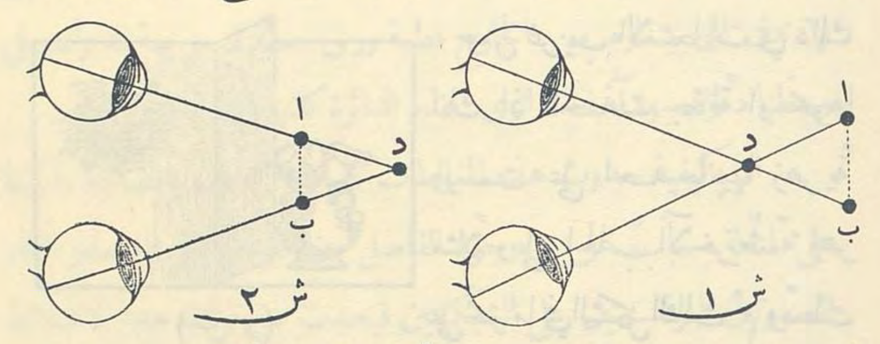
غرائب البصر (١)

اذا نظرنا الى شبحٍ فمن الضرورة ان صورة ذلك الشبح ترتسم على شبكية كلٍّ من العينين فكان ينبغي ان نرى هناك شبحين ولكنا مع ذلك لا نرى الا شبحاً واحداً . والسبب في ذلك ان كل نقطةٍ نيّرة من الشبح ترتسم على نقطتين من الشبكيتين توافقان عصباً واحداً من

---

(١) انظر صفحة ٢٣٨ و ٢٩٢

اعصاب الدماغ فتتحدان فيهِ وتؤديان الى الدماغ اثراً واحداً . ولاستثبات ذلك خذ انبوبين من المقوّي وضعْ على مائدةٍ امامك شيئين متماثلين ككرُتين صغيرتين مثلاً ثم انظر الى هاتين الكرتين من الانبوبين بان تضع كل انبوب امام احدى العينين على نحو ما في الشكل الثاني بحيث يكون امامك شبحان في الخارج فانك ترى الكرتين كرةً واحدة لكنها ابعد من مكان الكرتين على المائدة اي في مكان تقاطع محورَي البصر .

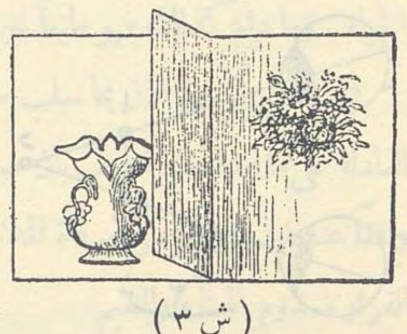


ثم ضع الانبوبين على شكل زاوية وأعد النظر الى الكرتين بحيث ترى التي الى اليمين بالعين اليسرى وبالعكس على نحو ما في الشكل الاول فانك لا ترى الا كرةً واحدةً ايضاً لكنها اقرب من مكان الكرتين في الخارج (١)

ولكي تقع صورتا الشيء الواحد على نقطتين متوافقتين من الشبكيتين لا بدَّ ان توجه العينان في الوقت الواحد الى منظور واحد ولذلك اذا كان هناك شيئان مختلفا المسافة ووُجّه النظر الى احدهما لزم ان يُرى الشيء الآخر شيئين . وهو ما يمكن تحقيقهُ بالفعل اذا نظرت الى شبحٍ

(١) هذا ما ذكرهُ صاحب هذه المقالة وهو الذي اثبتهُ اشهر علماء الطبيعيات (انظر گانو صفحة ٧٣٢) وقد نقلناهُ عنهم في مثل هذا البحث في مجلد

على بعد ٥ او ٦ امتار مثلاً ثم رفعت احدى اصابعك فجعلتها بين عينك وذلك الشبح بحيث تكون على نحو ٣٠ سنتيمتراً من العين فانك ترى اصبعين شفّافتين يُرَى الشبح المنظور اليهِ من ورآئهما . وكذا اذا اضفت الى الاصبع الاولى اصبعاً اخرى على بعد ٧ او ٨ سنتيمترات وانت تنظر الى الشبح البعيد فانك ترى هناك اربع اصابع لكنك اذا حوّلت نظرك الى احدى الاصبعين رأيتها واحدة ورأيت ما سواها مزدوجاً



(ش ٣)

ومن غريب الامتحانات في ذلك انك اذا اخذت بطاقةً او نحوها ورسمت على احد جانبيها زهريةً مثلاً وعلى الجانب الآخر ضُمّة زهر على نحو ما في الشكل الثالث ثم وسّطت بين الرسمين بطاقةً اخرى تجعلها قائمةً على الاولى ثم نظرت بالعينين الى الزهرية وضُمّة الزهر بحيث تراهما معاً — وذلك بأن تضع انفك على البطاقة الفاصلة — فانك ترى الضُمّة فوق الزهرية . وقس على ذلك صُوَراً

السنة الاولى(ص ٧٤٠) . واكننا عمدنا بعد ذلك الى امتحان هذا الامر فوجدنا ان القول الاخير غير صحيح فانهُ اذا تخالفت العينان في النظر الى الشبحين اي اذا نُظر الى ايمنها بالعين اليسرى والى ايسرها باليمنى رُوئيا شبحين اثنين لا شبحاً واحداً كما يمكن كل احد ان يعيد هذا الامتحان بنفسهِ والظاهر انهم اثبتوا هذا القول من طريق القياس النظري على خلاف المشهور عن علمآء هذا العصر في اثبات القضايا العلمية

شتى كعصفورٍ في قفص وفاكهةٍ في صحفة وفارسٍ على فرس وهلمَّ جرًّا

وهناك امتحانٌ آخر تأخذ انبوباً من الورق طولهُ ٢٠ او ٢٥ سنتيمتراً وتجعلهُ على عينك اليمنى وهو ممسَك باليد اليسرى ثم تنظر بالعينين معاً الى شيءٍ موضوع على مسافة بضعة امتار فانهُ يظهر لك ان العين اليمنى لا تراهُ ولكنك تراهُ باليسرى وحدها ويظهر لك كانك تراهُ من خلال خرقٍ في اليد اليسرى . واغرب من ذلك انك اذا اخذت الانبوب باليد اليمنى وادنيت الى يسارهِ من الخارج قطعة ورق صغيرة مربعة قد رُسم في وسطها دائرة سوداء فانك ترى هذه الدائرة كانها في داخل الانبوب

اما كيفية حدوث هذه المغالطات كلها فمما يصعب ايضاحهُ ولكنهُ على الجملة مسبَّبٌ عن وجود الفاصل بين العينين بحيث يتعذر اتحاد الصورتين المرتسمتين على الشبكيتين فيحدث عن ذلك هذا الاختلاط

مطالعات

اكتشاف قمر سابع للمشتري ـ ذكرت في الجزء التاسع من هذه المجلة خبر اكتشاف قمر سادس لهذا السيار اكتشفهُ المسيو پرّين في ٤ يناير من هذه السنة . وقد جاء بعد ذلك من نيويرك بتاريخ ٢٨ فبراير ان المشار اليهِ اكتشف لهُ قمراً سابعاً تبين من امرهِ انهُ يدور حول السيار دورةً مستقيمة اي من الغرب الى الشرق بخلاف القمر السادس فانهُ يدور حولهُ دورة متقهقرة من الشرق الى الغرب . اما سائر ما يتعلق

بهذين القمرين من بيان حجمهما و بعدهما عن سطح السيار ومدة دورانهما فلم يتحققوا شيئاً منهُ الى الآن　　　　فريد البرباري

آثار ادبيّة

الهدى ـ عنوان مجلةٍ « اسلامية علمية ادبية عمرانية اصلاحية » لحضرة مديرها الفاضل سيّد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية . وقد وردنا الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات ونُبَذ في اغراضٍ شتى من المطالب المشار اليها منها بعد المقدمة مقالة في آراء حكماء العرب ومذهب دروين ومقالةٌ في العلوم الاجتماعية ونبذة عن مسلمي القزان والبلغار وغير ذلك من المباحث المفيدة وكلها في عبارةٍ فصيحة محكمة النسج لنخبةٍ من أفاضل كتاب العصر . والمجلة تصدر في غرة كل شهر عربي في ثمانٍ وعشرين صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك فيها اربعون قرشاً في مصر والسودان واثنا عشر فرنكاً في الخارج . فنثني على حضرة مديرها الفاضل اجمل الثناء ونرجوا لها الثبات والانتشار

تذكار المهاجر — اهدى لنا حضرة الشاعر المتفنن قيصر افندي ابرهيم المعلوف نزيل سان پاولو بالبرازيل نسخةً من ديوانٍ لهُ بهذا العنوان جمع فيهِ المنظومات التي جادت بها قريحتهُ في اثناء اقامتهِ بتلك البلاد وهي تشتمل على اغراضٍ مختلفة من الشعر العصري فنشكر حضرة الناظم على هديتهِ النفيسة ونثني على قريحتهِ ثناءً طيباً

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ٤ —

راكبة الدراجة

قال الدكتور وطسن ولم يلقَ صديقي شرلوك هولمز بعد الحوادث المار ذكرها يوم راحةٍ فانهُ بقي من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩٠١ منهمكاً في قضآء عدد جسيم من المهمات المتعلقة بوظيفتهِ فلم يحدث في انكلترا حادث ولا واقعة غريبة الا كان لهُ دخل في كشفها وسبرغورها وابدآء رأيهِ فيها عدا الحوادث السرية الخاصة التي كان يفوَّض امرها اليهِ . ولا انكر انهُ اتفق لهُ ما يعرقل مساعيهُ في بعض تلك الامور ولكن هذا لا يذكر في جانب النجاح العظيم الذي صادفهُ وما ابدى من الذكاء المفرط الذي جعله في منزلةٍ تفوق سائر البشر . ولا ادري اي امر يهمّ تدوينهُ قبل غيرهِ فانني لا اود ان اشرح معضلات الامور وفظائع الجنايات بقدر ما يهمني ان أصف مقدرة صديقي العقلية وقوة تصوره وذكائهِ . وعليهِ فقد يخطر لي الآن ان اكتب قصة السيدة ڤيوليت سميث راكبة الدراجة لاظهر خاتمة تلك المأساة الغريبة

يبتدئ تاريخ هذه الحادثة في اليوم الثالث والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٩٥ وكان صديقي شرلوك اذ ذاك ملازماً الغرفة مستغرقاً في حل معضلةٍ تتعلق بمحاكمة رجل من افاضل الاغنيآء . وكنت قد عرفت من خلقهِ انهُ اذا رام ان يخلو بافكارهِ لا يحب ان يقاطعهُ احد ولذلك انزويت الى طرف الغرفة وجعلت

(١) بقلم نسيب افندي المعشلاني

اقطع الوقت بتلاوة بعض الرسائل التي كانت تردني من اصدقائي . وبينا انا كذلك اذا بباب الغرفة قد فتح ودخلت فتاة في مقتبل العمر غضة الشباب طويلة القامة جميلة المنظر ذات ابهة وشأن فحيّت وتوسلت الى صديقي ان يمدّها بمساعدته ومشورته . فاعتذر اليها شرلوك بقوله ان لديه اعمالاً كثيرة تمنعهُ من قبول اشغال جديدة . اما الفتاة فلم تقنع بقوله والحّت عليه ان يسمع حديثها ويأخذ بيدها لانها كما قالت قد وضعت بقية رجائها في الله وفيه . ولما لم يتمكن شرلوك من التخلص منها القى اوراقهُ الى جانب واعارها اذناً صاغية وهيئتهُ تدل على انهُ انما يسمع الحديث بالرغم عنهُ . فقالت الفتاة انا ابنة رجل يسمى جيمس سميث وكان ابي استاذاً للموسيقى في الملعب الملكي ثم توفي وتركني انا ووالدتي بدون نصير ولا قريب سوى عمٍّ يدعى رالف سميث كان قد سافر منذ خمس وعشرين سنة الى افريقيا فلم نعد نسمع عنهُ شيئاً . ولم يذخر لنا والدي شيئاً من المال فتركنا في حالة الفقر المدقع الى ان بلغنا يوماً وجود اعلان في جريدة التيمس بتوقيع احد المحامين يسأل عنا وعن محل اقامتنا فخطر لنا لاول وهلة ان قريباً مجهولاً توفي فترك لنا مالهُ وللحال اسرعت مع والدتي لمواجهة المحامي الذي نشر ذلك الاعلان . ولما وصلنا اليه رأينا عندهُ رجلين احدهما كهلٌ ويُدعى كاروذر والآخر فتى ويسمى وُدلي فاخبرانا انهما كانا في جنوبي افريقيا وقد عادا لزيارة الوطن وانهما كانا من اصدقاء عمي وانهُ مات فقيراً في مدينة جوهنسبرج وقد كانا عندهُ في ساعة احتضاره فتوسل اليهما عند نفسه الاخير انهما اذا رجعا الى الوطن يفحصان عنا ولا يتركاننا في حالة الفقر . فتعجبنا جدًّا من هذه الوصية لان عمي لم يكن يفتكر فينا قط في حياته فكيف ذكرنا في ساعة موته . فاخبرنا المستر كاروذر ان عمي علم بوفاة والدي فرأى من واجباته ان يهتم بامرنا . وكنت اراقب الشخصين فوجدت المستر وُدلي فتى فظ الاخلاق كرهتهُ وخفت من منظره لاول وهلة وهو ذو انفٍ اقنى وشعر اثيث منسدل على جانبي وجهه ولهُ عارضان لونهما مائل الى الحمرة فاجتهدت ان اتجنب النظر اليه وعلمت ان خطيبي سيريل مورتون ما كان يسمح لي بمخاطبته

لو حضر تلك المقابلة . اما المستر كاروذر فمع كونهِ اكبر سناً كان الطف منظراً وارقّ خلقاً وبعد ان سألنا عن كيفية معيشتنا وعلم انني من العارفات بفن الموسيقى سألني هل احب ان اعلم هذا الفن لابنتهِ فقلت لا مانع عندي سوى والدتي التي لا استطيع تركها وحدها . فقال اذا شئتِ ان تتعاطي هذا التدريس عندي فاني اسمح لكِ ان تزوري والدتكِ في آخر كل اسبوع وعين لي اجرة لذلك مئة ليرة في السنة . ولما كنا في حاجةٍ الى مثل هذا المبلغ لم نستطع ان نرفض طلبهُ واتفقنا على القبول فسرت معهُ الى بيتهِ وهو يبعد عنا نحو ستة اميال . فوجدت بيتهُ نظيفاً مرتباً وعلمت ان زوجتهُ توفيت وقد اتخذ خادمةً تعتني بابنتهِ وترتيب منزلهِ اما الابنة فكان لها من العمر عشر سنوات . وابتدأت بتعاطي عملي في تعليم ابنتهِ وذلك منذ اربعة اشهر فكنت مسرورة جدًّا . وفي احد الايام اتى المستر ودلي ليزور صديقهُ ويقضي عندهُ اسبوعاً فكان حضورهُ سبباً لاستيآئي لاني شعرت بنفورٍ شديد من هذا الرجل الفظ وزاد على ذلك انهُ جاءني احد الايام وانا خالية في غرفتي فكاشفني بحبهِ وسألني قبولهُ زوجاً لي واخذ يصف لي غناهُ الطائل وثروتهُ الجسيمة وانهُ يهبني من الالماس والحجارة الثمينة ما لا نظير لهُ في كل اوروبا . فاجبتهُ انني لا احبهُ ولا اميل اليهِ ولا يمكنني قبول طلبهِ ولو طرح مال الدنيا امام قدميَّ . فاثار جوابي غيظهُ فزمجر وزأر ثم امسكني بيديهِ القويتين حتى آلمني وقال اما ان تقبليني وتعديني بالحب او اقتلكِ . فاخذت ابكي واصرخ مستغيثة حتى سمع صاحب البيت المستر كاروذر فجآء وخلصني من يدي ذلك الظالم فارتدَّ عليهِ وضربهُ فجرحهُ ثم خرج من البيت ولم اعد اراهُ . اما كاروذر فاعتذر اليَّ عما حصل ووعدني انهُ لن يدعني اتعرض لمثل تلك الاهانة فيما بعد

وكنت كما ذكرت سابقاً اذهب في آخر كل اسبوع لزيارة والدتي ففي يوم سبت ركبت درّاجتي لاصل الى محطة القطار وكان في طريقي مسافةٌ مقفرة يكتنفها من احدى جهتيها غابة كثيفة ومن الجهة الاخرى حديقة متسعة في وسطها بناية شارلتون . فحانت مني التفاتة فرأيت درّاجةً تتبعني على مسافة مئتي يرد يركبها

رجلٌ لم اعرفهُ ولكن رأيتهُ لابساً قبعة جوخ وله لحية سوداء تغطي وجههُ فلم اهتم بهِ . و بلغت المحطة فركبت القطار حتى وصلت الى محل اقامة والدتي فلبثت عندها يومين ورجعت في صباح الاثنين فما بلغت تلك الطريق المذكورة آنفاً حتى تبعتني الدراجة براكبها كما في المرة الاولى فلما اجتزت المسافة المقفرة اختفت فجأةً . ولما كان السبت التالي ركبت كعادتي فلما بلغت المكان تذكرت الامر ونظرت فرأيت الرجل يتبعني في الذهاب والاياب فبدأت اشعر بوجلٍ واخبرت المستر كاروذر بذلك فاهتم بحديثي وقال لي انهُ لن يسمح لي بعد ذلك بالذهاب وحدي ووعدني انهُ سيبتاع عربةً تقلني في آخر كل اسبوع الى المحطة وتعود بي منها عند عودتي . ولما كنت في هذا السبت الاخير اعتذر لي كاروذر عن عدم حضور العربة فاضطررت ان اجيء كعادتي على الدراجة . ولما بلغت شارلتنون نظرت فرأيت نفس الشخص يتبعني حسب العادة فصممت ان لا اخاف منهُ هذه المرة وان لا بد لي من معرفتهِ ومعرفة غرضهِ من اتباعي فوقفت سير دراجتي فتوقف ثم اسرعت فاسرع . وكان في آخر الطريق عطفة حادّة فاسرعت حتى بلغتها فكان يسرع مثلي فلما بلغتها وقفت الدراجة ونزلت الى الارض وانا انتظر قدومهُ ورآئي ومضى على ذلك نحو ثلاث دقائق فلم يظهر . فعدت الى الطريق فرأيتها خالية كانهُ لم يطرقها احد فعجبت جدًّا لانهُ لا يمكن ان يكون قد تحول عنها ولو كان قد عاد من حيث اتى لكنت رأيتهُ راجعاً

هذا آخر ما اتفق لي من هذا الامر وقد اقلقني ما رأيت من الاعمال الغريبة واوجست من ورآئهِ خوفاً شديداً ولا ارى لي نصيراً سواك فاتوسل اليك ان تمدني برأيك فاما ان يكون هنالك خطرٌ تنقذني منهُ واما ان تشير عليَّ بلزوم منزلي والانقطاع عن منزل كاروذر . فقال شرلوك وقد بانت عليهِ علامات الاهتمام بحديث الفتاة قلت انك مخطوبة لفتى يدعى سيريل مورتون فاين يقيم أوَلا تظنين انهُ هو الذي يتبعك . قالت ذلك من المستبعد لانهُ لا يمكن ان تخفى عليَّ معرفتهُ ولو كان هو ذلك الرجل لفضَّل ان يسير بجانبي على اتباعي عن بعد . فقال

شرلوك وهل تعلمين ان احداً غيرهُ يهواكِ . قالت كان كثيرون من الفتيان يميلون اليَّ حتى خطبني سيريل فقطعت آمالهم وابتعدوا عنا ولا اذكر شخصاً يميل اليَّ سوى المستر كاروذر نفسهِ . ولا ادعو ذلك حبّاً بل لما كان يقضي اكثر اوقاتهِ في البيت وهو مغرم بالموسيقى كان يحضر وقت تعليم ابنتهِ ويظهر لي كل لطف فلم القَ منهُ سوى اتم الصفات اللائقة . فقال شرلوك وما هو شغل كاروذر قالت يظهر انهُ غني مع انهُ لا يقتني خيلاً ولا مركبات ولهُ ولع باخبار المعادن الذهبية في جنوبي افريقية فهو يلزم بيتهُ ولا يخرج منهُ الا مرتين في الاسبوع الى لندن للسوءال عن تلك المناجم واخبارها

وبعد ان اطرق شرلوك حيناً قال لها لقد فعلتِ حسناً بمجيئكِ اليَّ ايتها الفتاة وانا اشير عليكِ ان تعودي الى سابق عملكِ ولا تخبري احداً بما جرى وان لا تفعلي شيئاً الا عن مشورتي واذا حدث اي حادث جديد فاخبريني للحال . اما الآن فان اشغالي تمنعني من مرافقتكِ ولا ارى لزوماً لذلك ولكنني ارجو ان ازوركِ عن قريب . فخرجت الفتاة مسرورة شاكرة وقد ظهر عليها انها وثقت بكلام صديقي والقت همها عليه . ولما خلونا قال لي ان امر هذه الفتاة اهم مما تصورت اولاً ولا اظن ان تابعها محبٌّ بسيط ففي الامر سرٌّ لا بد من الوقوف على خفياتهِ ولا بد لنا من معرفة داخل بناية شارلتون وسكانها حيث يظهر ويختفي ذلك التابع الغريب . ثم ينبغي ان اعرف العلاقة التي بين كاروذر ووُدلي مع تباين طباعهما وكيف اتفق وجودهما عند عم الفتاة ساعة موته ولماذا يوءدي كاروذر مئة ليرة اجرة معلمة لا يوءديها اعظم الاغنياء وهو مع ذلك لا يقتني خيلاً ولا مركبات مع بعد منزلهِ اكثر من ستة اميال عن المحطة . والحاصل ان هذه الحادثة تستوجب انتباهنا وبما انني في شغلٍ مهم الآن فاني اكلفك ياعزيزي وطسن ان تنهض صباح الاثنين باكراً جداً وتذهب الى فارنهام ومنها الى شارلتون فتختفي في الغاب وتراقب رجوع الفتاة من تلك الناحية وماذا يحصل ثم اجتهد في اكتشاف امر تلك البناية وما تمكنك معرفتهُ عن ساكنيها وعد اليَّ بالتفصيل

الدقيق حسب عادتك

ولما كنت اعلم ان اوامر صديقي شرلوك هولمز مما لا يجوز التوقف عن انفاذهِ جهزت نفسي وفي صباح يوم الاثنين ركبت اول قطار فاقلني الى فارنهام ومنها سرت الى شارلتتون وكنت اراقب تلك الجهة فوجدت الغابة التي ذكرتها الفتاة وسور الحديقة المحيط بالبناية وقد فتح فيهِ عدة معابر ضيقة وفي وسط المسافة باب كبير لهُ اعمدة عليها نقوش ورسوم قديمة . وكانت كل علامات تلك الجهات تدل على الخلآءِ والقفر وهجران المكان . فلما تفقدت كل ذلك اخترت مكمناً اختفيت فيهِ بحيث اراقب ذلك الباب والطريق فتربصت قليلاً واذا بدراجة مرَّت بي وعليها رجل بلباس اسود ولحية كبيرة سودآء تبعتهُ بنظري فرأيتهُ قد نزل عن الدراجة ثم دخل بها احد تلك المعابر الضيقة فاختفى . وبعد نحو ربع ساعة رأيت دراجة اخرى قادمة ورأيت عليها الفتاة عائدة من المحطة وكانت تلتفت كأنها تتوقع شيئاً فما بلغت تلك النقطة حتى رأيت الرجل قد خرج من مكمنهِ بدراجتهِ فركبها وسار على اثر الفتاة فلم يكن سواهما احد على كل تلك الطريق . وكانت الفتاة تنظر من حين الى آخر الى جانب الطريق والرجل يتبعها منحنياً على مقدم دراجتهِ بحيث لا يرى وجههُ . ثم جعلت تبطئ في سيرها ففعل مثلها ثم وقفت فوقف . وكأنهُ خطر لها فكر فجاءة فرأيتها قد ادارت دراجتها وتوجهت اليهِ بمنتهى السرعة فلم يكن اقل من لمح البصر حتى ادار دراجتهُ ايضاً وهرب امامها مسافة واذا بها قد عادت وكأنها احتقرتهُ اشد الاحتقار فلم تعد تلتفت اليه . اما هو فعاد الى اتباعها كما كان يفعل محافظاً على نفس البعد بينهما وما زالا سائرين حتى غابا في آخر الطريق فلم اعد اراهما . ولبثتُ في مكمني حيناً واذا بالرجل قد عاد بسير بطيء فقارب جدار الحديقة وترجل فاصلح ثيابهُ ثم عاد فركب وتوجه الى البناية . فسرت تحت ستار الاشجار اراقب وجهتهُ حتى دنا من بناية شارلتتون ثم حجبتهُ كثافة الاشجار عن نظري ورأيت اني قد حصلت على ما تهمني معرفتهُ في ذلك النهار فعدت الى المحطة . وفي اثنآء انتظاري القطار سألت عن بناية شارلتتون وساكنيها فقيل لي إن لا احد

يعرف شيئاً عنها سوى الوكيل وهو يقيم في لندن . ولما بلغت لندن طلبت مواجهتهُ وسألتهُ ان يؤجرني البناية مدة اشهر الصيف فقال اتأسف يا مولاي انك جئت متأخراً فان البناية قد استأجرها منذ شهر رجل شيخ يدعى وِليَمسون . فطلبت منهُ ان يخبرني شيئاً عن ذلك المستأجر فقال لا يمكنني ان اصرح لك باكثر مما قلت . فتركتهُ وعدت الى البيت وكان شرلوك هولمز في انتظاري فلما اخبرتهُ برحلتي وكنت ارجو ان يسرهُ عملي رأيت فيهِ غير ذلك وقال لي قد اخطأت جدًّا ايها العزيز وطسن باختيارك ذلك المكمن الذي لم يفدنا شيئاً فانك لم تستطع مشاهدة الرجل عن مسافةٍ اقرب مما شاهدتهُ الفتاة ولو اخترت الجهة الثانية من الطريق لكان افضل لان الفتاة تقول انها لم تعرفهُ وانا مقتنع بانها كانت تعرفهُ لو استثبتت هيئتهُ والا لما كان يهتمّ باقترابها اليهِ . على ان انحناءهُ على مقدم الدراجة يدل على تخفيهِ فانهُ لو لم يكن يخشى ان تعرفهُ لما فعل ذلك . ثم انك سعيت لمعرفة الرجل فذهبت الى وكيل البناية وهذا غلط فاضح لانهُ كان يجب ان تذهب الى اقرب نادٍ فكنت سمعت هناك من كلام الحضور ما دلك على اسم الرجل وصفاتهِ وجميع داخلية بيتهِ . ثم انك اقتنعت بان الذي استأجر البيت رجل شيخ غير ان ركوب الدراجة بالصفة التي ذكرتها لا يفعلهُ شيخ مسنّ . فكانك لم تفعل شيئاً في رسالتك هذه ولم نستفد شيئاً سوى ان قصة الفتاة حقيقية وهـذا لم اشك فيهِ وانهُ يوجد علاقة بين الرجل المطارد والبناية وهذا ما كنت قد تحققتهُ وان اسم الرجل وليمسون وهذا لا يفيدنا شيئاً . وعلى كل حال فلم يعد لدينا ما نصنعهُ في هذا الامر قبل يوم السبت القادم غير انني سأسعى لعلي احصل على بعض المعلومات في هذه الاثناء

ولما كان الصباح التالي اتتنا رسالة من الفتاة تخبرنا فيها بما حصل كما ذكرت وقد زادت عليهِ انها ترغب الى شرلوك ان يحفظ امرها سرًّا عن كل بشر وقالت ان المستر كاروذر طلب منها الاقتران بهِ وانها رفضت لانها مخطوبة فاظهر انقباضاً عظيماً ولكنهُ لم يخرج عن معاملتها بمزيد اللطف واللين . فتبسم شرلوك لدى تلاوة الرسالة وقال ارى الامر يتضح امامي كما زعمت ولا يبعد ان نقترب من حل هذا

المعمى باسرع مما املنا وان افكاري تحدثني بأمرٍ سأجريهِ بنفسي فسأذهب غداً للتنزه في ضواحي لندن وعسى ان اتوفق . وذهب شرلوك حسب قولهِ في اليوم التالي فاقمت انتظرهُ الى المسآء ولما عاد تبين لي من منظرهِ انهُ حضر عراكاً شديداً فقد تقطعت ازرارهُ وجرح في فيهِ و بانت على وجههِ آثار ضرب فاستقبلني ضاحكاً وقال اشكر الله اني كنت اعرف فن المصارعة والا لما عدت اليك حيًّا يا وطسن . ثم بدأ يقص عليَّ ما اجراهُ فقال توجهت الى حيث اشرت عليك ان تتوجه فدخلت حانةً وتظاهرت باني اريد الشرب فتعرفت بشخصٍ اخذ يقص عليَّ حديث بناية شارلنتون وساكنيها فقال ان الرجل المسمى وليمسون ذو لحيةٍ بيضآء وعندهُ عدد من الخدم ويقال انهُ من رجال الدين مع ان هيئة معيشتهِ تخالف ذلك وتدل على ان حياتهُ مكتنفة باسرار خفية . وهو لا يُزار الا مرةً في آخر كل اسبوع وزائروهُ بضعة رجال تدل ملامحهم على انهم من الاشرار وعلى الخصوص احدهم المدعو ودلي وهو رجل احمر الشعر فظ المنظر والطبع . . . وما كاد الرجل يصل الى هذا الحد من الكلام حتى رأيت رجلاً قد جآء فوقف امامي وقال انا هو المستر ودلي فما يعنيك السؤال عني . وكان قد دخل الحانة وسمع حديثنا . فلما لم اجبهُ رفع يدهُ ولطمني فتصديت لهُ وحصلت بينا معركة انتهت برجوعي على هـذه الحالة ونقل ودلي الى بيتهِ محمولاً

وفي اليوم التالي اتتنا رسالة اخرى من الفتاة تقول فيها انني سأترك خدمة كاروذر غير آسفة على دخلي الجسيم فسأجيء يوم السبت في عربته ولن اعود اليهِ . اما سبب تركي الخدمة فمعظمهُ من عودة ذلك الوحش ودلي الى الظهور بيننا فقد رأيتهُ بالامس وكانهُ اصـابهُ حادث فكان مهشم الاعضآء مغير اللون تسيل الدمآء من جراحهِ وقد خلا بالمستر كاروذر مدةً فظهرت على الاخير علامات الخوف والقلق ويظهر لي ان ودلي مقيم بالقرب منا لانهُ لم يبت عندنا ولكنهُ عاد في الصباح مبكراً واني لاعجب من مصادقة كاروذر اللطيف لمثل هذا الوحش الضاري . ومهما يكن الامر فان السبت القادم سيكون آخر عهدي بهم

فقطب شرلوك حاجبيهِ وقال لم يخطئ ظني فان حول الفتاة احبولة مخيفة وينبغي ان نسهر عليها الى ان تترك ذلك المكان بامان فيجب ان نستعد للسفر ونراقب خروجها صباح غدٍ ووصولها الى بيتها سالمة . اما انا فلم اكن اعتقد ان في الامر ما يوجب الحذر ولكنني لما رأيت ان شرلوك قد اخذ مسدسهُ فاخفاهُ في جيبهِ ايقنت ان المسألة اشد خطراً مما اظن ففعلت مثلهُ وخرجنا من البيت فقضينا جزءا من الليل ثم ركبنا القطار فاقلنا الى فارنهام وسرنا من هناك سيراً بطيئاً حتى اشرفنا على جهة شارلتون . فرأينا عند طرف الطريق الاقصى شيئاً اسود فقال شرلوك اظن ان هذه عربة تقل الفتاة وكانها تنوي ان تركب اول قطار يقوم من فارنهام فقد تأخرنا وستجتاز شارلتون قبل ان نصادفها . ولما قال هذا اسرع في سيرهِ وتبعتهُ وكان امامنا عطفة تخفي عنا العربة القادمة فما زلنا نجد السير وكان شرلوك يسبقني فرأيتهُ قد توقف فجأةً ورفع يدهُ علامة اليأس والاسف الشديد . ونظرت الى حيث اشار فاذا بالعربة يجرّها جوادٌ نشيط يسير بها مسرعاً الى جهتنا وليس فيها احد وكانت الاعنة قد ارخيت ورآء الجواد فكان يسرع في جريهِ ولم يكن الا كلمح البصر حتى صرت بقرب شرلوك فوقفنا في وجه الجواد الجامح وتمكنا من امساكهِ . فقال شرلوك اواه من عدم انتباهي فقد كان يجب عليَّ ان استعد لكل ذلك وافتكر في اول قطار فلست آمن ان يكون قد قضي الامر الآن وتم الفعل . فآه يا وطسن انني اكاد اجن من اهمالي ولكن هيا بنا فلعل الحظ يساعدنا ونصل قبل فوات الوقت . وصعد امامي الى العربة فتبعتهُ وادار رأس الجواد من حيث اتى والهب ظهرهُ بالسوط فجعل يعدو بنا بسرعة الطير حتى انتهينا الى الطريق المستقيم فبان كلهُ امامنا ووقع نظري على رجل راكب دراجة وقد جعل يسابق بها الرياح فوجهت نظر شرلوك اليهِ . وكان الرجل كانهُ يقصد العربة فلما اقترب منا رأيناهُ اصفر الوجه وقد انتشرت لحيتهُ السودآء ولما رآنا نزل عن دراجتهِ فوقف في طريقنا وصاح بأعلى صوتهِ قفا لفوركما والا اطلقت غدارتي على الجواد . فاستوقف شرلوك العربة وقال لهُ مهلاً يا صاحِ فاننا نحن ايضاً نودّ ان نستوقفك عن المسير

لنسألك عن محل وجود السيدة ڤيولت سميث . فقال الرجل مستغرباً تسألانني انا وانتما في عربتها فقولا لي اين تركتماها . فاخبرهُ شرلوك بمصادفتنا العربة شاردة فصرّ باسنانهِ واندفعت من فيهِ الشتائم ذاكراً فيها اسم الخسيس ودلي والكاهن اللعين . ثم نظر الينا فقال اخاف ان تكون قد صارت في قبضتهم وقضي الامر ولكن اذا كنتما تعرفان الفتاة وترغبان في خلاصها فاتبعاني . وكان ذلك ما نطلبهُ فسار امامنا الى معبرٍ في جدار حديقة شارلتنون وتبعهُ شرلوك فتركت الجواد يرعى النبات على جانب الطريق وتبعتهما وظهرت لنا آثار اقدام كثيرة فتحققنا ان الجانين قد دخلوا من هناك . ولما تقدمنا قليلاً عثرنا على سائق العربة ملقى على الارض وقد قيدت يداهُ ورجلاهُ وسال الدم من جراح خفيفة في رأسهِ فتركناهُ واسرعنا الى داخل الغابة حيث كان الرجل يقودنا او بالاحرى حيث كان شرلوك يأمر بالتقدم مستدلاّ بآثار الاقدام . ولما بلغنا منتصف الغابة سمعنا صوت فتاة تستغيث وانتهى الصياح بما يشبه الحشرجة فهلعت قلوبنا وضاعفنا سرعتنا حتى بلغنا شبه شارع رأينا في آخرهِ شجرةً تحتها ثلاثة اشخاص اولهم الفتاة وقد عرفناها للحال وكانوا قد اوثقوها ووضعوا منديلاً في فيها فهوت الى جانب الشجرة فاقدة الشعور. اما الشخص الثاني فكان رجلاً في مقتبل الشباب فظ الهيئة قبيح المنظر والثالث رجل شيخ ابيض الشعر قد ارتدى فوق ثوبهِ حلةً بيضاء تدل انهُ كاهن وظهر لنا انهُ كان يعقد صلاة الاكليل وانتهى حال وصولنا فردّ كتابهُ الى جيبهِ . وادركت ان القصد من ذلك عقد زواج الفتاة بالرغم عنها على ذلك الوحش وُدلي . فقال الرجل الذي قادنا ذو اللحية السوداء اتبعاني فان هذا الشيخ اللابس البياض هو وليمسون صاحب بناية شارلتنون والآخر ودلي. وما زلنا نتقدم حتى صرنا عندهم فتقدم ودلي وحيّا بازدراء ثم نظر الى رفيقنا وقال انزع هذه اللحية التي تخفيك يا كاروذر وتعال اقدمك الى زوجتي . فرفع كاروذر يدهُ الواحدة الى لحيتهِ فانتزعها ورمى بها الى الارض ثم اخذ بالاخرى مسدسهُ فصوبهُ الى صدر ودلي وقال نعم انا كاروذر ولكنني قلت لك انني انتقم ممن يزعج هذه الفتاة فسأريك انني اقوم

بوعيدي ولو مت . فقال ودلي قد تأخرت يا هذا فانها اصبحت زوجتي . فقال كاروذر نعم وستصير ارملتك ولما قال هذا اطلق الرصاص فسقط ودلي الى الارض يختبط بدمهِ . واذا بالكاهن قد اندفع يشتم كاروذر ثم اخرج مسدسهُ وقبل ان يصو بهُ اليه كان شرلوك قد شهر مسدسهُ في وجههِ وامرهُ ان يلقي سلاحهُ الى الارض . وفعل كذلك مع كاروذر فالقى سلاحهُ أيضاً فامرني ان احتفظ بالمسدسين وقال انتما الآن اسيران في يديَّ الى ان تأتي رجال الشحنة . فقال وليمسون ومن تكون انت يا هـذا . قال انا شرلوك هولمز فبهت الاثنان . ورأى شرلوك احد الخدم عن بعد فناداهُ وكتب لهُ رسالة وامرهُ ان يسرع جهدهُ الى فارنهام و يسلمها الى رئيس الشحنة . ولما ذهب الغلام امر وليمسون وكاروذر ان ينقلا الجريح الى البيت ويذهبا امامهُ واعتنيت انا بالفتاة فحللت وثاقها واسندتها الى ذراعي فسرنا جميعنا حتى بلغنا البناية . وفحصت الجريح فعلمت انهُ لاخطر عليهِ وما كدت اصرح بذلك حتى وثب كاروذر كالوحش الضاري وقال لا لن يعيش فدعوني اجهز عليهِ لئلا يعيش زوجاً لهذه الفتاة الطاهرة . فقال شرلوك مهلاً يا هذا انهُ لن يكون زوجها وقد علمنا انهُ اعظم اشرار جنوبي افريقيا . اما عقد الصلاة فلا عبرة به لانهُ اجباري ولان الكاهن ليس الا لصاً دنيئاً مقطوعاً من الكنيسة . فقال كاروذر اذاً اتكل عليك ايها المولى ان تحرس الفتاة بعدي فانني احببتها حبًّا عظيماً وعلمت ان هؤلاء الابالسة ينوون بها شراً وقد استأجروا بناية شارلتون لاجل غايتهم الدنيئة فكنت كل يوم سبت اسير وراءها على دراجتي لارى ذهابها بسلام واستقبلها كذلك صباح الاثنين لاحرسها في عودتها وقد تخفيت تحت هذه اللحية السوداء لكي لا تعرفني ولا تظن بي سوءا . اما الآن وقد قضي الامر فاني اعترف امام الله وامامكم بما كان مني ومن هذين الرجلين وعسى الله ان يغفر لي ما اقدمت عليهِ واذا حكم عليَّ القضاء بعقوبةٍ ما فاني اقبلها بنفسٍ طيبة عالماً اني مستحقها . ولكن الله يشهد بسلامة ضميري وان كان قد صدر مني ما اؤاخذ عليهِ فهو موافقتي لهذين الشريرين على مقاصدهما الخبيثة التي لم البث ان نزعت يدي من مشاركتهما فيها وقد رأت هذه

الفتاة من حسن معاملتي لها ومحافظتي على شرفها وعرضها ما احسبها لا تنكرهُ ولا بد ان تكون قد قصت عليكم شيئاً منهُ . وكان وليمسون في اثناء سماعهِ كلام كاروذر يتململ تململاً شديداً ثم وثب كلبوءة مفترسة وقال له اياك يا هذا والتصريح والا فعلت بك كما فعلت بودلي . فتبسم كاروذر مستخفاً واقترب شرلوك من وليمسون مهدداً فسكت وفي تلك الدقيقة دخل رجال الشحنة فاصبح الاسيران والجريح في قبضتهم . وعاد كاروذر الى تتمة حديثهِ فقال اننا كنا ثلاثتنا في جنوبي افريقيا فلم نصادف نجاحاً وكان صاحب الارض الذي نعمل عندهُ هو المستر رالف سميث عمّ الفتاة فاصاب مالاً كثيراً وثروةً طائلة . وعلمنا ان ليس لهُ وارث ولا يهتم باحد وانهُ اذا مات بدون وصية عادت ثروتهُ الى بيت اخيهِ فاحتلنا على اهلاكهِ . و بعد ان قضى نحبهُ اتينا الى هنا فوجدنا الفتاة ووالدتها فقط فصممنا على ان يقترن احدنا بالفتاة فيستولي بواسطتها على تلك الثروة الجسيمة ونقتسمها بيننا نحن الثلاثة ثم اقترعنا على الفتاة فاصابت القرعة هذا الخبيث وودلي . وكنت لم ارَ الفتاة بعد فلما رأيتها لم يطاوعني ضميري على تركها لهُ واحببت ان اتنازل لهُ عن كل المال اذا تركها لي فلم يقبل . وتجادلنا كثيراً في ذلك حتى افضت بنا الحال الى الخصام ولم استطع صرفهُ عن قصدهِ وقد اوشك ان ينجح فيهِ كما رأيتم

وكان شرلوك يسمع وهو يتبسم ثم اخرج من جيبهِ مذكرة كتب فيها كل تفاصيل تلك القصة تقريباً من ملاحظاتهِ الشخصية فتعجبنا جميعاً لقوة ادراكهِ . ثم سلم شرلوك الجميع الى رجال الشحنة وعدت واياهُ بالفتاة الى منزل والدتها حيث وجدنا خطيبها سيريل مورتون في انتظارنا . ولم تمضِ علينا ايام كثيرة حتى بلغنا ان المحكمة قد حكمت على ودلي ووليمسون وكاروذر بالاشغال الشاقة المؤبدة . اما ڤيوليت فاستولت على تركة عمها الطائلة واقترنت بسيريل وكانت بعد ذلك كثيراً ما تزورنا هي وزوجها ويدعواننا لزيارتهما فيذكراننا بتلك المأساة وذلك الخلاص العجيب الذي انتشلنا به الفتاة من بين انياب الخطر